تفسير إبن كثير

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

تفسير سورة الفرقان وهي مكيةيقول تعالى حامدا نفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم ، كما قال تعالى : (الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات [أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا]) [الكهف : 1 - 3] وقال هاهنا : (تبارك) وهو تفاعل من البركة المستقرة الدائمة الثابتة (الذي نزل الفرقان) نزل : فعل ، من التكرر ، والتكثر ، كما قال : (والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) [النساء : 136] ; لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة ، والقرآن نزل منجما مفرقا مفصلا آيات بعد آيات ، وأحكاما بعد أحكام ، وسورا بعد سور ، وهذا أشد وأبلغ ، وأشد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) [الفرقان : 32 ، 33] . ولهذا سماه هاهنا الفرقان; لأنه يفرق بين

الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والحلال والحرام .وقوله : (على عبده) : هذه صفة مدح وثناء; لأنه أضافه إلى عبوديته ، كما وصفه بها في أشرف أحواله ، وهي ليلة الإسراء ، فقال : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) [الإسراء : 1] ، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه : (وأنه لما قام عبد االله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) [الجن : 19] ، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه ، فقال (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) .وقوله : (ليكون للعالمين نذيرا) أي : إنما خصه بهذا الكتاب العظيم المبين المفصل المحكم الذي : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [فصلت : 42] ، الذي جعله فرقانا عظيما - إنما خصه به ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء ، ويستقل على الغبراء ، كما قال - صلوات االله وسلامه عليه - " بعثت إلى الأحمر والأسود " . وقال : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي " ، فذكر منهن : أنه " كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة " ، وقال االله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول االله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض [لا إله إلا هو] يحيي ويميت) [الأعراف :

158] أي : الذي أرسلني هو مالك السماوات والأرض ، الذي يقول للشيء كن فيكون ، وهو الذي يحيي ويميت ،